

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام

(ج2) كتاب "الإسلام والحضارة الغربية" (75 ح)

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الطَّوْلِ وَالْعَاقِبَةِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ، وَالرِّكْنِ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، خَاتَمِ الرُّسُلِ الْعِظَامِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْكِرَامِ، الَّذِينَ طَبَّقُوا نِظَامَ الْإِسْلَامِ، وَالتَّزَمُوا بِأَحْكَامِهِ أَيَّامَ التَّزَامِ، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَثَبِّتْنَا إِلَى أَنْ نَلْقَاكَ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ يَوْمَ الرَّحَامِ.

أيها المؤمنون:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعْدُ: نَتَابِعُ مَعَكُمْ سَلْسَلَةَ حَلَقَاتِ كِتَابِنَا "بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام" وَمَعَ الْحَلَقَةِ الْخَامِسَةِ وَالسَّبْعِينَ، وَغُنَوَانُهَا: "كِتَابُ: "الإسلام والحضارة الغربية". نَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا جَاءَ فِي الصَّفْحَتَيْنِ: الرَّابِعَةِ وَالسَّبْعِينَ، وَالخَامِسَةِ وَالسَّتِينَ مِنْ كِتَابِ "نظام الإسلام" لِلْعَالِمِ وَالْمُفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبْهَائِيِّ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَمَّا الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَإِنَّهَا تَقُومُ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ التَّقْيِضُ مِنْ أَسَاسِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَصَوُّرِهَا لِلْحَيَاةِ غَيْرِ نَصِّ وَبِرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَهَا، وَمَقْهُومُ السَّعَادَةِ فِيهَا يَخْتَلِفُ عَنِ مَقْهُومِهَا فِي الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّ الْاِخْتِلَافِ".

وَنَقُولُ رَاجِعِينَ مِنَ اللَّهِ عَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ وَجَنَّتُهُ: فِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ نَتَابِعُ مَعَكُمْ حَدِيثَنَا الَّذِي كُنَّا قَدْ بَدَأْنَاهُ عَمَّا كَتَبَهُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ حُسَيْنٌ فِي كِتَابِهِ "الإسلام والحضارة الغربية" فَهُوَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَسَاتِذَةِ الْجَامِعَاتِ الْمُبْتَازِينَ بِفِكْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبْهَائِيِّ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ "الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ"، يَقُولُ فِي الصَّفْحَةِ الرَّابِعَةِ وَالخَامِسِينَ: "... وَبَرَامِجِ التَّغْرِيبِ تُحَاوِلُ أَنْ تُحَدِّمَ هَدَفًا مُرَدَّوَجًا، فَهِيَ تُحْرَسُ مَصَالِحِ الْاِسْتِعْمَارِ، بِتَقْرِيبِ الْهُوَّةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، نَتِيجَةُ لاختلاف القيم، وَنَتِيجَةُ لَلْمَرَارَةِ الَّتِي يُحْسِنُهَا الْمُسْلِمُ إِزَاءَ الْمُحْتَلِينَ لِإِلَادِهِ، يَمُنُّ بِفِرْضِ عَلَيْهِ دِينُهُ جِهَادَهُمْ. وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تُضَعِّفُ الرَّابِطَةَ الدِّينِيَّةَ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمُ الَّتِي كَانَتْ تَلْتَقِي عَلَى وَحْدَةِ الْقِيَمِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ أَوْ بِتَعْبِيرٍ أَشْمَلٍ: وَحْدَةِ الْقِيَمِ الْحَضَارِيَّةِ، فَيَسْتَطِيعُ الْاِسْتِعْمَارُ أَنْ يَنْفَرِدَ فِي كُلِّ بَلَدٍ عَلَى حِدَةٍ، وَأَنْ يَتَفَرَّغَ لِمُوَاجَهَةِ مَا عَسَاهُ يَنْشَأُ مِنْ ثَوَرَاتٍ، وَظَهْرُهُ آمِنٌ مِنْ ثَوَرَاتِ الْمَنَاطِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى فِي مُسْتَعْمَرَاتِهِ، الَّتِي قَدْ تَهَبَّتْ لِمُسَانَدَتِهَا.

وَقَدْ لَاحَظَ كُرُومَرُ وُجُودَ هَذَا الْخِلَافِ الشَّدِيدِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الْمُسْتَعْمِرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْعَقَائِدِ وَفِي الْقِيَمِ وَفِي الْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ، وَفِي اللَّغَةِ ... لَاحَظَ كُرُومَرُ أَنَّ هَذِهِ الْخِلَافَاتِ هِيَ السَّبَبُ فِي انْعِدَامِ ثِقَةِ الْمُسْلِمِ بِالْمُسْتَعْمِرِ الْعَرَبِيِّ، وَسُوءِ ظَنِّهِ بِهِ، وَهِيَ السَّبَبُ فِي هُوَّةٍ وَاسِعَةٍ تَفْصِلُ بَيْنَهُمَا، وَتَجْعَلُ مِهْمَةَ الْمُسْتَعْمِرِ مَحْفُوفَةً

بِالْمَتَاعِبِ، وَدَعَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْعَمَلِ بِمُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ عَلَى بِنَاءِ فَنَظَرَةٍ فَوْقَ هَذِهِ الْهَوَاةِ، وَقَدْ اتَّخَذَتْ هَذِهِ الْوَسَائِلُ طَرِيقَيْنِ:

أَحَدُهُمَا هُوَ تَرْبِيَةُ جِيلٍ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ الْعَصْرِيِّينَ الَّذِينَ يُنَشَّؤُونَ نَشْنَةً تُفَرِّبُهُمْ مِنَ الْأُورُوبِيِّينَ وَمِنَ الْإِنْجِلِيزِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ فِي طَرِيقِ السُّلُوكِ وَالتَّفَكِيرِ؛ لِذَلِكَ أَنْشَأَ كَرُومَر "كَلِيَّةَ فِكْثُورِيَا" الَّتِي قَصَدَ بِهَا تَرْبِيَةَ جِيلٍ مِنْ أبنَاءِ الْحُكَّامِ وَالرُّعَمَاءِ وَالْوُجَهَاءِ فِي مُحِيطِ الْإِنْجِلِيزِيِّ لِيَكُونُوا مِنْ بَعْدِ هُمْ أَدَوَاتِ الْمُسْتَعْمِرِ الْعَرَبِيِّ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِيَكُونُوا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَدَوَاتِهِ فِي التَّقْرِبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَبَيْنَ الْمُسْتَعْمِرِ الْأُورُوبِيِّ، وَفِي نَشْرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ. كَانَ الْاسْتِعْمَارُ الْعَرَبِيُّ يَنْتَظِرُ الْوَقْتَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَعْنِي فِيهِ عَنِ الْجَيْشِ؛ لِيَعْتَمِدَ فِي حِرَاسَةِ مَصَالِحِهِ عَلَى الصَّدَاقَةِ الَّتِي هِيَ الْمَقْصُودُ بِكُلِّ مَشَارِعِهِ فِي نَشْرِ الْحَضَارَةِ الْأُورُوبِيَّةِ.

أَمَّا الْوَسِيلَةُ الْأُخْرَى الَّتِي اتَّخَذَهَا الْاسْتِعْمَارُ لِإِيجَادِ هَذَا التَّفَاهَمِ الْمَوْجُودِ، وَعَمِلَ عَلَى تَنْفِيذِهَا، فَهِيَ أَبْطَأُ نَمَازًا مِنَ الْوَسِيلَةِ الْأُولَى، وَلَكِنَّهَا أَبْقَى آثَارًا، وَهِيَ تَتَلَخَّصُ فِي تَطْوِيرِ الْإِسْلَامِ نَفْسِهِ، وَإِعَادَةِ تَفْسِيرِهِ بِحَيْثُ يَبْدُو مُتَّفِقًا مَعَ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، وَغَيْرِ مُتَعَارِضٍ مَعَهَا عَلَى الْأَقْلَى، بَدَلُ أَنْ يَبْدُو عَدُوًّا لَهَا، أَوْ مُعَارِضًا لِقِيَمَتِهَا وَأَسَالِبِهَا. بِذَلِكَ وَجِدَ عَامِلٌ جَدِيدٌ مِنْ صِلَاتِ الْإِسْلَامِ بِالْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ تَدَخُّلُ الْعَرَبِ نَفْسِهِ فِي تَوْجِيهِ هَذِهِ الصِّلَاتِ، وَالتَّخْطِيطِ لِأَسَالِبِهَا وَوَسَائِلِهَا. ظَلَّتْ هَذِهِ الصِّلَاتُ تَسْتَأْنِفُ سَيْرَهَا فِي طَرِيقِهَا الْقَدِيمِ، تَتَأَثَّرُ بِالْعَامِلِ الْجَدِيدِ فَتَقْتَرِبُ مِنْهُ أَوْ تَلْتَقِي بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ، وَتُدْرِكُ حُطُورَتَهُ، فَتُعَارِضُهُ وَتُهَاجِمُهُ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى.

إِلَى جَانِبِ هَذَيْنِ الْمُنْهَجَيْنِ وَجِدَ مِنْهَجٌ ثَالِثٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ بِخَاصَّةٍ، لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا مُبَاشَرًا فِي صِلَاتِ الْإِسْلَامِ بِالْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ أَثْرًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ فِي تَوْجِيهِهَا، وَهَذَا الْمُنْهَجُ الثَّلَاثُ وَالْعُنْصُرُ الْجَدِيدُ مُمَثَّلٌ فِي نَصَارَى الْعَرَبِ، وَنَصَارَى الشَّامِ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، كَانَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى مِنَ الشَّامِيِّينَ كَمَا كَانُوا يُسَمَّوْنَ. أَوْ مِنَ السُّورِيِّينَ وَاللُّبْنَانِيِّينَ وَالْفِلَسْطِينِيِّينَ وَالْأَرْدُنِيِّينَ كَمَا نُسِّبُهُمُ الْآنَ لَا يُشَارِكُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِحْسَاسِ بِالْوَلَاءِ الْقَلْبِيِّ الْحَالِصِ لِلْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَائِمِ الَّذِي تُمَثِّلُهُ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ، وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي أَصْلِ وُجُودِهِ لَا يَدْعُو إِلَى الْعَرَابَةِ، لَا سِيَّمَا إِذَا أَصَفْنَا إِلَيْهِ فَسَادَ الدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَيَّامِهَا، وَهُوَ فَسَادٌ كَانَ يَشْكُو مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَسِيحِيُّونَ، وَالْعَرَبُ وَالثُّرُكُ عَلَى السَّوَاءِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ آمَالُ هَذَا الْفَرِيقِ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ تَتَعَلَّقُ بِالْعِلْمَانِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تُعَوِّمُ عَلَى الْفَضْلِ بَيْنَ الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ، وَالَّتِي لَا يَتَحَكَّمُ فِيهَا الْإِسْلَامُ فِي التَّنْظِيمِ السِّيَاسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ، وَالَّتِي يُزُولُ مَعَهَا إِحْسَاسُ الْمُسْلِمِينَ بِالاعْتِرَازِ، وَإِحْسَاسُ النَّصَارَى بِالذَّلَّةِ وَالانْكِسَارِ الَّذِي يُخَالِطُ مَشَاعِرَ الْأَقْلِيَّاتِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ.

هَذِهِ تَيَّارَاتٌ ثَلَاثَةٌ كَانَتْ تَجْرِي فِي أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ. فَلْنَحَاوِلُ تَتَبُّعَهَا فِي إِجْزَائِهَا وَاحِدًا تَلُوَ الْآخَرَ. وَقَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ الْحَدِيثَ عَنْهَا أُحِبُّ أَنْ أُلْفِتَ النَّظَرَ إِلَى أَمْرَيْنِ يَجِبُ أَنْ يَضَعَهُمَا الْبَاحِثُ فِي هَذَا

الموضوع نُصِبَ عَيْنَيْهِ؛ لِكَيْ يَأْمَنَ الرَّكْلَ، وَلِكَيْ لَا يَضِلَّ الطَّرِيقَ، وَلِكَيْ لَا يُجَدِّعَ عَن حَقَائِقِ الْأُمُورِ: أَحَدُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ هُوَ حَاجَتُنَا الشَّدِيدَةُ إِلَى إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي تَقْوِيمِ الرَّجَالِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِّنْ نَّعْتَيْهِمْ دَعَائِمَ النَّهْضَةِ الْحَدِيثَةِ لَمْ يُصْبِحُوا كَذَلِكَ فِي أَوْهَامِ النَّاسِ إِلَّا بِسَبَبِ الدَّعَايَاتِ الْمُعْرِضَةِ الَّتِي أَرَادَتْ أَنْ تَضَعَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ؛ لِتُحَقِّقَ بِذَلِكَ أَغْرَاضَهَا فِي نَشْرِ مَبَادِيهِمْ وَالتَّمَكِينِ لِأَرَائِهِمْ، وَلِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَرَءِ الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ طَرِيقَهَا إِلَى الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ، وَإِلَى مُجْتَمَعَاتِهِ، قَدْ أَصْبَحَ قَبُولُهَا مُمَكِّنًا بِنِسْبَتِهَا إِلَى هَذِهِ الرَّعَامَاتِ وَإِلَى هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ الَّذِينَ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَى النَّاسِ شَكٌّ فِي إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّجَالِ قَدْ أَحْبَبُوا بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَبْنِي لَهُمْ مَجْدًا وَذِكْرًا بَيْنَ النَّاسِ، وَلَمْ يَكُنِ الْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ خِدْمَتُهُمْ، وَلَكِنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ كَانَ وَلَا يَزَالُ هُوَ خِدْمَةُ الْمَذَاهِبِ وَالْأَرَءِ الَّتِي نَادَوْا بِهَا، وَالَّتِي وَافَقَتْ أَهْدَافَ الْإِسْتِعْمَارِ، وَمَصَالِحِهِ، فَقَدْ أَصْبَحَ تَرْوِيجُ أَيِّ مَذْهَبٍ فَاسِدٍ فِي تَأْوِيلِ الْإِسْلَامِ كَمَا لَاحِظٌ "جَب" فِي كِتَابِهِ: (Modern Trends in Islam) أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ يُوَافِقُ رَأْيَ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ. وَبِكُفْيِ فِي التَّشْهِيرِ بِأَيِّ رَأْيٍ سَلِيمٍ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى ضَيْقِ الْأُفُقِ الَّذِي لَا يُلَايِمُ مَا اتَّصَفَ بِهِ هَذَا أَوْ ذَلِكَ مِنْ سَعَةِ الْأُفُقِ وَالسَّمَاخَةِ، وَصِحَّةِ الْفَهْمِ لِرُوحِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَا تَزَعُمُهُ الدَّعَايَاتُ، وَلَيْسَ مُهِمًّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى حُسْنِ قَصْدٍ مِنْهُمْ، أَوْ عَن سُوءِ قَصْدٍ، وَلَيْسَ مُهِمًّا أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِعْمَارُ هُوَ الَّذِي اسْتَحْدَمَهُمْ لِذَلِكَ، وَوَضَعَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَأَقْلَامِهِمْ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ وَالْأَرَءِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَرَءِ قَدْ نَشَأَتْ بَعِيدَةً عَن حَضَانَتِهِ وَرِعَايَتِهِ، ثُمَّ رَأَاهَا نَافِعَةً لَهُ، فَاسْتَعْلَمَهَا، وَعَمِلَ عَلَى تَرْوِيجِهَا. الْمُهْمُّ فِي الْأَمْرِ هُوَ أَنَّ الْمَجْدَ الَّذِي يُنْسَبُ لَهُؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ لَيْسَ مِنْ صُنْعِهِمْ، وَلَا هُوَ مِنْ صُنْعِ الشُّعُوبِ الَّتِي عَاشُوا فِيهَا، وَلَكِنَّهُ مِنْ صُنْعِ الْقُوَى الَّتِي اسْتَحْدَمَتْهُمْ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَعْلَمَهُمْ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الْقُوَى هِيَ الْإِسْتِعْمَارُ أَوْ الصُّهُبِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ مُخْتَلِفِ وَسَائِلِهَا وَأَجْهَرِهَا.

وَحُطَّةُ الْإِسْتِعْمَارِ وَالصُّهُبِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ فِي ذَلِكَ، كَانَتْ تَقُومُ - وَلَا تَزَالُ - عَلَى السَّيْطَرَةِ عَلَى أَجْهَرَةِ النَّشْرِ الَّتِي نُسِّبُهَا الْآنَ (الإعلام). وَإِلْقَاءُ الْأَضْوَاءِ مِنْ طَرِيقِهَا عَلَى كُتُبٍ وَمُفَكِّرِينَ مِنْ نَوْعِ خَاصٍّ، يُبْنُونَ وَيُنَشِّئُونَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يُبْنَى بِهَا جُجُومُ التَّمَثِيلِ وَالرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ، بِالْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْإِعْلَانِ عَنْهُمْ، وَالْإِشَادَةِ بِهِمْ، وَإِسْبَاحِ الْأَلْقَابِ عَلَيْهِمْ، وَنَشْرِ أَحْبَابِهِمْ وَصُورِهِمْ. وَذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُهْمَلُ فِيهِ الْكُتُبُ وَالْمُفَكِّرُونَ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ وَجْهَاتِ النَّظَرِ الْمُعَارِضَةِ، أَوْ تُشَوِّهُ أَرَؤُهُمْ وَتُسَفِّهُ، وَتُشَهِّرُ بِهِمْ.

من الأراء المتحررة التي لم تكن تستطع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامي وإلى مجتمعاته . قد أصبح نموذجاً يمكناً ، يستلهمنا إلى هذه الزعامات وإلى هؤلاء الأئمة ، الذين لا يتطرق إلى الناس شك في إخلاصهم وعلمهم . والواقع أن كثيراً من هؤلاء الرجال قد أسهبوا بالأسباب التي تهي لهم جدياً وتقرّب بين الناس ، ولم يكن الغرض من ذلك هو عسفهم ، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذهب والأراء التي نادى بها والتي وافقت أهداف الإسلام وما وصّاهه . فقد أصبح يكتفي في ترويج أي مذهب ناسد في تأويل الإسلام - كما لاحظ جب في كتابه (Modern Trends in Islam) أن يقال : إنه يوافق رأي ثلاثين أو ثلاثين من هؤلاء الأعلام . ويكتفي في التشهير بأي رأي سليم أن يتّسبب إلى ضيق الألق ، الذي لا يلائم ما انتصف به هذا أو ذلك من سعة الألق والسماحة وصحة الفهم لزوم الإسلام ، على ما تزعمه الدعايات . وليس مهماً أن يكون ذلك عن شخّن قصير منبهم أو عن سوء قصد ، وليس مهماً أن يكون الاستمرار هو الذي استخدمهم لذلك ، ويؤنّج على ألسنتهم وأقلامهم هذه المذاهب والأراء ، أو أن تكون هذه الأراء قد نشأت بعيدة عن حداثته وديانته ، ثم رأها ناعمة له ، فاستغلها وحصل على ثروتها . المهم في الأمر هو أن المجد الذي تُتسبب هؤلاء الأفراد ليس من صنعهم ولا هو من صنع الشعوب التي عاقدوا أيمانها ، ولكن من صنع القوى التي استخدمتهم أو التي تريد أن تستغلهم ، سواء كانت هذه القوى هي الاستعمار أو هي الصهيونية العالمية بمختلف وسائلها وأجهزتها .

وهيئة الاستعمار والصهيونية العالمية في ذلك كانت تقوم - ولا تزال - على السيطرة على أجهزة النشر التي تسبها الآن (الإعلام) ، وإلقاء الأضواء من طريقها على كتّاب وفكرين من نوع خاص ، يبيّنون ويُشكّون بالطريقة التي تُشع بها نجوم التمثيل والرقص والغناء ، بالملحوظة على الإعلان منهم ، والإشادة بهم ، وإسراع الأكتاب عليهم ، ونشر أخبارهم وصوّغهم . وذلك في الوقت الذي يُتمل فيه الأكتاب والفكرين الذين يصوّرون وجهات النظر المضادة ، أو تتنوّأ أراؤهم وتُستعف ، ويُشخّر بهم . ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آناً



للمسلمين في حياتهم من ناحية ، ولكن يواجه الخطر الخارجي الذي يجد كوابيم من ناحية أخرى . فكلت هذه الصلات تستلّف سرعاً في طريقها القديم ، وتأثر بالمائل الجديد فتزوب منه أو تلتقي به في بعض الأحيان ، وتشر منه وتؤمّن عظورته خضرةً وبهاجه في أحيان أخرى .

إلى جانب هذين المجهين يُوجد منبع ثالث في بلاد العرب بخداصة ، لم يحصل مصلداً مباشرأ في صلات الإسلام بالحضارة الغربية ، ولكنه ترك أثراً خفراً مباشر في ترويضها . وهذا المنبع الثالث والمتسر الجديد شُئ في نصارى العرب ، ونصارى الشام منهم على وجه الخصوص . كان هؤلاء - النصارى من الشّامين كما كانوا يُستشرون - أو من السوريين واللخانيين والفلسطينيين والأردنيين كما تسبهم الآن - لا يشاركون المسلمين في الإحساس بالزلاء الفعلي الخالص للتسليم الإسلامي الكامل ، الذي كتفه الدولة العثمانية ، وهو أمر طبيعي في أصل وجوده لا يدعو إلى الغرابة ، ولا سيما إذا أخذنا إياه فساد الدولة في آخر أيامها ، وهو فساد كان يشكونه المسلمون والنسحيون ، والعرب والترك على السواء . من أجل ذلك كانت آمال هذا الفريق من نصارى العرب تتعلق بالمُمانية الغربية ، التي تقوم على الفصل بين الدين والدولة ، والتي لا يتسكن فيها الإسلام في التنظيم السياسي والاجتماعي ، والتي يزول معها إحساس المسلمين بالاعتزاز وإحساس النصارى بالذلة والافتقار الذي يعطل مشاعر الألقاب في أكثر الأحيان .

هذه تباينات ثلاثة كانت تجري في أرض المسلمين والعرب . فلتسول أن نتصها في إيجاز واسعاً يتلو الأمر . وقبل أن تبدأ الحديث عينا أحب أن ألفت النظر إلى أمرين يجب أن يفسهما الباحث في هذا الموضوع تُشعّ عليه ، كهي يأمن الأزل ، ولكن لا يفلح الطريق ، ولكن لا يُشخ من حقائق الأمور .

أشد هذين الأمرين هو حاجتنا الشديدة إلى إعادة النظر في تدعيم الرسالة ، لأن كثيراً من تدعيمهم دعائم النضوة الحديثة لم يصحوا كذلك في أروام الناس إلا بسبب الدعايات المضرة ، التي أترادت أن تصدوم في هذه الفترة ، لتسحق بذلك أعراسها في نشر ملأهم وانشكين لأرائهم ، ولأن كثيراً

الدكتور محمد محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية

أيها المؤمنون:

تَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ فِي هَذِهِ الْحَلْقَةِ، وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ، مَوْعِدْنَا مَعَكُمْ فِي الْحَلْقَةِ الْقَادِمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِلَى ذَلِكَ الْحِينِ وَإِلَى أَنْ نَلْقَاكُمْ وَدَائِمًا، نَتَرَكُّكُمْ فِي عَنَابَةِ اللَّهِ وَحَفِظِهِ وَأَمْنِهِ، سَائِلِينَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعَزِّزَنَا بِالْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُعَزِّزَ الْإِسْلَامَ بِنَا، وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِنَصْرِهِ، وَأَنْ يُقَرِّرَ أَعْيُنَنَا بِقِيَامِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ الثَّانِيَةِ عَلَيَّ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ، وَأَنْ يُجْعَلَنَا مِنْ جُنُودِهَا وَشُهُودِهَا وَشُهَدَائِهَا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. نَشْكُرُكُمْ عَلَى حُسْنِ اسْتِمَاعِكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.